الدرس الرابع

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

عناصر الدرس:

١- الحكمة من الصيام وباقي العبادات.

٢- معنى التقوى.

٣- كيف تحقق التقوى من خلال الصيام؟

٤- ثمرات التقوى في الدنيا والآخرة.

الدَّرس الرابع

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

الحكمة من الصيام وباقي العبادات:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، إن تقوى الله تعالى هي الغاية من فرضية الصيام، بل إن التقوى هي الغاية من كل العبادات، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يفيد كل ما قيل في حكمة الصيام، أي لعلكم تتقون المحارم عمومًا، ولعلكم تتقون ما حرم الله على الصائمين من المفطرات والممنوعات، ومن كل الأحوال والصفات السيئة والخبيثة، ولعلكم تتصفون بصفة التقوى، وتحصُلون على كل ما يقيكم مما تكرهون، وتتخلقون بأخلاقها، وهكذا سائر ما ذكر فيه هذا اللفظ. [القواعد الحسان في تفسير القرآن].

والتقوى هي وصية الله لعباده الأولين والآخرين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

وهي وصية النبي ﷺ لأمته، فعن العِرْباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظةً بليغة، ذَرَفت منها العيون، ووَجِلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظةُ مُودِّعٍ، فماذا تَعهَدُ إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله»** [رواه أحمد وأبو داود والترمذي واللفظ له، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح].

معنى التقوى:

قال طَلْقُ بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله. [جامع العلوم والحكم ١/ ١٥٩].

وسئل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن التقوى، فقال للسائل: هل أخذتَ طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم! قال: فكيف صنعتَ؟ قال: إذا رأيتُ الشوك عزلتُ عنه أو جاوزته أو قَصَرتُ عنه، قال: ذاك التقوى. [جامع العلوم والحكم ١/ ١٦٠].

خَـلِّ الذُّنُـوبَ صَغِـيرَهَا وَكَبِيـرَهَا ذَاكَ التُّـقَـى
وَاصْـنَـعْ كَمَـاشٍ فَـوْقَ أَرْ ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَـحْـقِـرَنَّ صَـغِـيـرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِـنَ الْحَصَى

كيف نحقق التقوى من خلال الصيام؟

١- **الصيام هو امتثال لأمر الله واجتناب لنهيه**، وهذا من معاني التقوى، وهو أن يترك الإنسان ما تطلبه فطرته وتشتهيه نفسه، طمعًا بثواب الله، وخوفًا من عذابه وسخطه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام جُنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم، إني صائم، والذي نفسي بيده! لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها**» [البخاري ١٧٩٥].

٢- **الصيام يرفع المسلم إلى درجة الإحسان، ويعظم عنده الشعور بمراقبة الله تعالى**، إذ إن الصائم إنما يترك ما حرم الله عليه بالصيام من الأكل والشرب

والجماع وغيرها من المفطرات، مع قدرته عليه، لأنه يعلم أن الله يراه ومطلع عليه، وهذا من أعظم معاني التقوى، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جُنة**» [البخاري ١٧٩٥].

٣- **الصيام يُعوّد المسلم على كظم الغيظ، والصبر على الأذى، والتخلق بخلق العفو والصفح، والدفع بالتي هي أحسن**، يقول الله تعالى وهو يذكر صفات المتقين: ﴿**وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «وإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم» [البخاري ١٨٠٥].

٤- **الصيام يُضيّق مجاريَ الشيطان**، لأن الشيطان يجري من ابن أدم مجرى الدم، وبذلك يقلّ نفوذه، ويضعُف كيده، فتقلّ المعاصي وتكثر الطاعات، وهذا هو معنى التقوى.

٥- **شهر رمضان هو شهر القرآن**، إذ تعظم علاقة المسلم بالقرآن تلاوةً وتدبرًا وحفظًا، فيزداد هدًى وتقوَى، قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٢].

ثمرات التقوى في الدنيا والآخرة:

من رزقه الله التقوى وامتلأ قلبه بها، فلا بد أن يرى أثرها ويجني ثمارها في الدنيا والآخرة، وهذه الثمار أكثر من أن تحصر، ولكن نذكر بعضها.

أولًا: ثمرات التقوى في الدنيا:

من أعظم ثمرات التقوى: حب الله للمتقين، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

ومنها معية الله الخاصة للمتقين، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ومن ثمرات التقوى: الزيادة في الخير والبركة في الرزق، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ومن ثمرات التقوى: كشف الهموم، وتفريج الكروب، والرزق بغير حساب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق].

ومن ثمرات التقوى: قبول العمل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

ثانيًا: ثمرات التقوى في الآخرة:

أما عن ثمرات التقوى في الآخرة: فإن الآخرة للمتقين، وهم يحشرون يوم القيامة ركبانًا مكرمين، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥]، يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وركوبهم على نجائب من نور، من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه، إلى دار كرامته ورضوانه. [تفسيرابن كثير]، وهم في مقعد صدق في جنات وأنهار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر].

نسأل الله أن يجعلنا من المتقين، والحمد لله رب العالمين.